◊ الموضوع الثاني: لماذا نحتاج إلى التفكير في المخاطر قبل وقوعها

◊ هدف الموضوع

يهدف هذا الموضوع إلى ترسيخ قناعة جوهرية في وعي المتدرب، مفادها أن التفكير المسبق في المخاطر ليس ترفاً فكرياً ولا قلقاً زائداً، بل هو ضرورة حياتية وحكمة شرعية وواجب إنساني يحمي به الإنسان نفسه وأسرته ومجتمعه. وسيتعرف المتدرب بنهاية هذا الموضوع على الأسباب الجوهرية التي تجعل التفكير الوقائي مهارة لا غنى عنها لكل شخص واعٍ، مهما كان موقعه ومهما كانت ظروفه.

◊ تمهيد للموضوع

قد يتساءل البعض حين يسمع عبارة إدارة المخاطر فيقول: لماذا أشغل بالي بأمور قد لا تقع أصلاً؟ ألا يكفي أن أتعامل مع الأمور حين تحدث؟ ولماذا أعقّد حياتي بتفكير مسبق قد يكون مجرد توقعات؟ هذه التساؤلات مشروعة، ويطرحها كثير من الناس في قرارة أنفسهم، وقد لا يجرؤون على البوح بها.

والإجابة عن هذه التساؤلات لا تأتي من خلال محاضرة نظرية، بل من خلال التأمل في واقع الناس. فلو سألنا أي شخص وقع في مشكلة كبيرة عن سببها، لقال في الغالب: لو كنت قد فكرت قليلاً قبل أن أتصرف، لما حدث ما حدث. هذه الجملة تتكرر يومياً على ألسنة الندامى، وتمثل اعترافاً ضمنياً بأن التفكير المسبق هو ما كان ينقصهم.

◊ التفكير الوقائي في الإسلام والقيم العربية

الدين الإسلامي الحنيف لم يدع جانباً من جوانب الحياة إلا ووضع له منهجاً وأرشد إليه، ومن أبرز ما حث عليه الإسلام مبدأ الأخذ بالأسباب والحذر من الوقوع في المهالك. فقد جاءت النصوص الشرعية متضافرة على الحث على التفكير المسبق والاحتياط للأمور قبل وقوعها.

◊ من هدي الكتاب والسنة

قال الله تعالى في كتابه الكريم في سورة النساء: يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم. وفي هذه الآية الكريمة أمر إلهي صريح بأخذ الحذر والاحتياط، وهو لب فكرة إدارة المخاطر.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز. والحرص على ما ينفع هو عين التفكير الوقائي.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين. وفي هذا الحديث الشريف دعوة صريحة إلى التعلم من التجارب السابقة لتفادي تكرار الأخطاء.

ومن الأمثال العربية الشهيرة التي تجسد هذا المعنى قولهم: الوقاية خير من العلاج، وقولهم: من سبق سبق، وقولهم: درهم وقاية خير من قنطار علاج. هذه الأمثال ليست مجرد كلمات تقال، بل هي خلاصة تجارب الأجداد عبر القرون، أرادوا أن يورثوها لمن بعدهم ليكونوا أحكم منهم في تدبير شؤونهم.

◊ السبب الأول: حفظ النفس والأسرة من الأذى

جعل الإسلام حفظ النفس من الضرورات الخمس التي يجب على المسلم رعايتها وحمايتها، فلا يجوز للإنسان أن يلقي بنفسه إلى التهلكة، ولا أن يعرض أسرته للأخطار التي يمكن تجنبها. والتفكير المسبق في المخاطر هو الوسيلة العملية التي يحفظ بها الإنسان نفسه ومن يعول.

تخيل أب أسرة لا يفكر في المخاطر التي قد تواجه أبناءه في الإنترنت، ولا يضع لهم القواعد المناسبة، ولا يراقب ما يدخل بيته من محتوى. ما الذي قد يحدث؟ قد يقع أحد أبنائه في فخ من فخاخ الإنترنت، إما بمشاهدة محتوى لا يليق، أو بالتعرض لاحتيال إلكتروني، أو بالتواصل مع غرباء لا يعرف نواياهم. كل هذه المخاطر كان يمكن تجنبها بقليل من التفكير المسبق ومتابعة بسيطة.

وحفظ النفس لا يقتصر على الجانب البدني، بل يمتد إلى الجانب النفسي والمعنوي. فالشخص الذي يقع في مشكلة كبيرة بسبب إهماله، يعاني نفسياً لفترة طويلة، وقد يدخل في حالة من الندم والإحباط تؤثر على حياته كلها. أما الذي يدير مخاطره بحكمة، فإنه يعيش حياة هادئة مطمئنة، لأنه يعلم أنه قد بذل ما في وسعه.

◊ السبب الثاني: حفظ المال من الضياع

المال نعمة من الله سبحانه وتعالى، أمرنا بحفظه وعدم تبذيره أو إضاعته. والاحتيال المالي والاستثمارات الفاشلة والصفقات المتسرعة، كلها مخاطر مالية يقع فيها من لا يفكر مسبقاً ولا يدرس قراراته بعناية.

كم من شخص خسر مدخرات عمره في صفقة وهمية وعد فيها بأرباح خيالية، فقط لأنه لم يتوقف ليفكر: لماذا يعطيني هذا الشخص أرباحاً ضخمة بهذه السهولة؟ ولو فكر قليلاً لاكتشف أن العرض غير منطقي، ولاستشار من هو أكثر خبرة منه، ولنجا من الكارثة. التفكير المسبق هنا كان سيوفر عليه سنوات من الحسرة.

◊ السبب الثالث: حفظ السمعة والمكانة الاجتماعية

السمعة في مجتمعنا العربي الإسلامي قيمة لا تقدر بثمن، فالإنسان قد يخسر ماله ويعوضه، لكنه إذا خسر سمعته ومكانته بين الناس، فإن استرجاعها يحتاج إلى سنوات طويلة من العمل الجاد. ومع ذلك، نرى كثيراً من الناس يخسرون سمعتهم بسبب تصرف عابر لم يفكروا في عواقبه.

الموظف الذي ينشر معلومات سرية عن مؤسسته بدافع الانفعال، يفقد ثقة جهة عمله ويصعب أن يحصل على فرصة مماثلة في المستقبل. والشاب الذي يكتب منشوراً متسرعاً على وسائل التواصل، قد يجد نفسه أمام مساءلة قانونية أو فقدان فرصة وظيفية مهمة. والتاجر الذي يبيع منتجاً رديئاً لجني ربح سريع، يفقد عملاءه ويتدمر مشروعه. كل هذه المخاطر يمكن تجنبها بسؤال بسيط: ما الأثر بعيد المدى لهذا التصرف؟

◊ السبب الرابع: الالتزام بالأنظمة وحماية النفس قانونياً

تعمل المملكة العربية السعودية على تطوير منظومة الأنظمة والتشريعات لحماية المواطنين والمقيمين على أرضها، ومن أبرزها الأنظمة المتعلقة بمكافحة الجرائم المعلوماتية ونظام مكافحة الاحتيال المالي ونظام حماية البيانات الشخصية. والشخص الذي لا يفكر في المخاطر قبل تصرفاته، قد يجد نفسه وقد ارتكب مخالفة قانونية دون أن يدري.

مثلاً، نشر صورة شخص دون إذنه على وسائل التواصل قد يبدو أمراً بسيطاً، لكنه يقع تحت طائلة نظام مكافحة الجرائم المعلوماتية في المملكة، ويعرض صاحبه للمساءلة. وكذلك نشر معلومات مغلوطة أو الترويج لمنتجات مخالفة، كلها أمور لها عقوبات قانونية محددة. والتفكير المسبق يحمي الإنسان من الوقوع في هذه المخالفات دون قصد.

◊ تنبيه نظامي

الجهات الرسمية في المملكة العربية السعودية وفرت قنوات واضحة للتوعية بالأنظمة والإبلاغ عن المخالفات، ومنها هيئة الاتصالات والفضاء والتقنية، والنيابة العامة، والهيئة الوطنية للأمن السيبراني. ومن واجب كل مواطن ومقيم أن يتعرف على الأنظمة المتعلقة بنشاطه، فالجهل بالنظام لا يعفي صاحبه من المسؤولية.

◊ السبب الخامس: تحقيق الاستقرار النفسي والاطمئنان

الإنسان الذي يفكر في مخاطره مسبقاً ويستعد لها، يعيش حياة أكثر اطمئناناً من ذلك الذي يترك الأمور للصدفة. قد يبدو هذا الكلام عكس المتوقع، فالبعض يظن أن التفكير في المخاطر يسبب القلق، لكن الحقيقة عكس ذلك تماماً.

الشخص الذي اتخذ الاحتياطات اللازمة لحماية بيته من السرقة، يخرج من بيته مرتاح البال. أما الذي ترك بيته دون قفل محكم، فهو يفكر طوال غيابه فيما قد يحدث. والذي اتخذ احتياطات الأمن السيبراني لحساباته البنكية، ينام مرتاحاً. أما الذي يستخدم نفس كلمة المرور لكل حساباته، فإن أي خبر عن اختراق إلكتروني يدخل الذعر إلى قلبه.

التفكير المسبق إذاً ليس مصدر قلق، بل هو مصدر طمأنينة. لأن الإنسان حين يأخذ بالأسباب، يطمئن إلى أنه قد قام بواجبه، وما يبقى بعد ذلك فهو من تقدير الله سبحانه وتعالى الذي يتقبله بنفس راضية.

◊ السبب السادس: توفير الوقت والجهد والمال

التعامل مع الخطر بعد وقوعه يكلف أضعاف ما يكلفه التفكير المسبق فيه. تخيل مقدار الجهد الذي يبذله شخص اختُرق حسابه البنكي لاسترجاع أمواله، مقارنة بالوقت اليسير الذي كان يحتاجه لتفعيل التحقق بخطوتين على حسابه. والوقت الذي يضيع في معالجة مشكلة كان يمكن تجنبها، هو وقت كان يمكن استثماره في الإنتاج والإنجاز.

ومن الحكمة المعروفة في علم الإدارة أن دقيقة واحدة من التخطيط توفر عشر دقائق من التنفيذ، وأن ريالاً واحداً من الوقاية يوفر عشرة ريالات من العلاج. هذه ليست أرقاماً مبالغاً فيها، بل قاعدة عامة أثبتتها التجربة في كل مجال. فالشركة التي تستثمر في تدريب موظفيها على الأمن السيبراني، توفر على نفسها خسائر فادحة محتملة. والأسرة التي تستثمر في توعية أبنائها، تجنّبهم مشكلات لا تعد ولا تحصى.

◊ السبب السابع: تحمل المسؤولية تجاه الآخرين

الإنسان في مجتمعه ليس جزيرة منعزلة، بل هو مرتبط بأسرة وزملاء عمل ومجتمع. وتصرفاته تؤثر على من حوله، سلباً أو إيجاباً. والتفكير المسبق في المخاطر ليس مسؤولية فردية فقط، بل هو مسؤولية اجتماعية تجاه كل من يعتمدون عليه أو يتأثرون بقراراته.

الأب الذي لا يفكر في مخاطر القيادة بسرعة، يعرض أسرته للخطر معه. والمدير الذي لا يفكر في المخاطر المؤسسية، يعرض موظفيه لفقدان مصادر رزقهم. والمعلم الذي لا يفكر في سلامة طلابه، يعرض أمانة في عنقه للضياع. كل من ولاه الله أمراً، فعليه أن يفكر في مخاطر هذا الأمر ويسعى لحماية من تحت يده.

ومن أعظم ما جاء في السنة النبوية في هذا الباب قول النبي صلى الله عليه وسلم: كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته. وهذا التوجيه النبوي العظيم يحمّل كل إنسان مسؤولية من تحت يده، والمسؤولية تستلزم التفكير المسبق والتدبير الحكيم.

◊ السبب الثامن: التنمية والتطور الشخصي

الشخص الذي يعتاد على التفكير المسبق في المخاطر، يطور لديه مع الوقت مهارات ذهنية متقدمة، فيصبح قادراً على التحليل والتقييم والتخطيط واتخاذ القرار. هذه المهارات لا تخدمه فقط في تجنب المخاطر، بل تخدمه في كل جوانب حياته، في عمله وعلاقاته وقراراته الكبرى.

ولاحظ كيف أن الناجحين في الحياة العملية يتميزون بقدرتهم على التفكير بعيد المدى، وعدم الانجراف وراء القرارات اللحظية. هذا ليس صدفة، بل هو نتيجة تدريب طويل لعقولهم على التفكير الواعي. وأنت بقراءتك هذه الحقيبة وحضورك هذه الدورة، تأخذ بأسباب تطوير هذه المهارة في نفسك، فتسير في طريق هؤلاء الناجحين.

◊ الفرق الجوهري بين الشخص الواعي وغير الواعي

لتوضيح أهمية التفكير الوقائي بشكل عملي، نقدم الجدول التالي الذي يقارن بين تصرفات الشخص الواعي بالمخاطر وغير الواعي في مواقف مماثلة من الحياة اليومية، وكيف يؤثر التفكير المسبق على النتائج النهائية:

الشخص غير الواعي	الشخص الواعي	الموقف
يضغط على الرابط مباشرة	يتأمل ويتحقق قبل أي تصرف	استلام رسالة بفوز بجائزة
يخرج بسرعة دون مراجعة	يغلق الأبواب ويفصل الأجهزة	الخروج من المنزل لفترة
يثق ويعطي ما يطلب منه	لا يفصح عن معلوماته الشخصية	استلام مكالمة من مجهول
يشتري بدافع اللحظة	يقارن ويستشير ويتأمل	شراء منتج غالي الثمن
يتجاوز الأنظمة بحجة العجلة	يلتزم بالأنظمة المرورية	قيادة السيارة في الطريق
يهمل أو يضغط دون حوار	يحاوره ويتابع برفق ووعي	التعامل مع ابنه المراهق
يستخدم كلمة واحدة لكل شيء	ينوّعها ويفعّل خطوتي التحقق	استخدام كلمات المرور
يصدق وينشر مباشرة	يتحقق قبل أن يصدق أو ينشر	سماع شائعة على الإنترنت

لاحظ من الجدول كيف أن الفرق بين الشخصين ليس في القدرات أو الإمكانات، بل في طريقة التفكير. الشخص الواعي ليس بالضرورة أذكى أو أعلم، لكنه يأخذ لحظة قبل التصرف ليفكر في النتائج. هذه اللحظة البسيطة هي ما يصنع الفرق الجوهري بين حياتين مختلفتين تماماً.

◊ تطبيقات على الواقع المعاصر في المملكة العربية السعودية

في ظل التحول الرقمي السريع الذي تشهده المملكة العربية السعودية ضمن مستهدفات رؤية ٢٠٣٠، أصبح كثير من الخدمات والمعاملات تتم عبر القنوات الإلكترونية. وهذا التحول الإيجابي العظيم، الذي وفر على المواطن الوقت والجهد، حمل في طياته أنواعاً جديدة من المخاطر لم تكن موجودة من قبل، تستدعي وعياً جديداً وتفكيراً مسبقاً مختلفاً.

◊ في المعاملات المالية الإلكترونية

أصبح المواطن السعودي اليوم ينجز معظم معاملاته المالية من خلال تطبيقات البنوك على جواله، وهذا يستدعي تفكيراً مسبقاً في مخاطر الاحتيال الإلكتروني والتصيد والاختراق. والذي يدخل إلى تطبيق بنكه دون أن يفكر في مكان وجوده وفي شبكة الإنترنت التي يستخدمها، يعرض حسابه للخطر. أما من يفكر مسبقاً ويستخدم بيانات جواله الخاصة، ويتجنب الشبكات العامة، فإنه يقي نفسه من مخاطر كثيرة.

◊ في الخدمات الحكومية الإلكترونية

منصات أبشر وتوكلنا وناجز وغيرها من المنصات الحكومية، سهّلت إنجاز المعاملات الرسمية. لكنها تحتاج إلى وعي بكيفية حماية بيانات الدخول، وعدم إعطاء كلمات المرور لأي شخص مهما كانت صفته. وقد حذرت الجهات الرسمية في المملكة مراراً من المحتالين الذين ينتحلون صفة موظفين حكوميين ليأخذوا بيانات المستفيدين.

◊ في وسائل التواصل الاجتماعي

وسائل التواصل أصبحت جزءاً من حياة كل أسرة سعودية تقريباً، وما ينشره الإنسان فيها قد يؤثر على سمعته ومكانته الاجتماعية بشكل دائم. والتفكير المسبق قبل أي منشور أو تعليق يحفظ صاحبه من كثير من الندم. ومن المهم هنا التذكير بأن الأنظمة في المملكة تحاسب على ما ينشر، خاصة فيما يتعلق بنشر الشائعات أو التشهير بالأشخاص أو نشر محتوى مخالف للقيم العامة.

◊ ماذا يحدث حين نهمل التفكير المسبق؟

لتوضيح خطورة عدم التفكير المسبق، نستعرض في هذا الجزء بعض النتائج المحتملة للإهمال في إدارة المخاطر، من واقع ما يحدث في مجتمعنا يومياً، دون ذكر أشخاص بأعينهم حفاظاً على الخصوصية:

◊ على المستوى الشخصي

- ◊ خسائر مالية فادحة قد تأكل مدخرات سنوات طويلة، بسبب الوقوع في فخ احتيال إلكتروني كان يمكن تجنبه بقليل من التأمل والتحقق.
- ◊ اختراق الحسابات الشخصية على وسائل التواصل، واستخدامها في إيذاء أصدقاء الضحية وأقاربه.
- ◊ الوقوع في أزمات صحية كان يمكن تجنبها بفحص دوري أو نمط حياة أكثر وعياً.
- ◊ ضياع فرص وظيفية أو اجتماعية بسبب منشور متسرع أو تعليق غير محسوب.

◊ على المستوى الأسري

- ◊ وقوع الأبناء في مشكلات أخلاقية أو سلوكية كان يمكن تجنبها بمتابعة أبوية واعية.
- ◊ نشوء خلافات أسرية بسبب نشر صور أو معلومات عائلية على وسائل التواصل دون تفكير.
- ◊ تعرض الأسرة لمخاطر مالية بسبب قرارات مالية متسرعة لم يفكر فيها ربها بعناية.
- ◊ فقدان الأسرة لشعور الأمان النفسي بسبب تكرار وقوع المشكلات التي كان يمكن تجنبها.

◊ على المستوى المهني

- ◊ الوقوع في مخالفات نظامية بسبب الجهل بأنظمة العمل وعدم البحث عنها.
- ◊ خسارة جهات العمل بسبب أخطاء كان يمكن تجنبها بمراجعة بسيطة.
- ◊ الإضرار بسمعة المؤسسة بسبب تصرف فردي غير محسوب من أحد منسوبيها.
- ◊ ضياع فرص الترقي والتطور المهني بسبب تكرار الأخطاء التي كان يمكن التعلم منها.

◊ خلاصة العواقب

كل هذه العواقب الكبيرة، وغيرها كثير، نتيجة طبيعية لإهمال خطوة بسيطة جداً، وهي الوقوف لحظة قبل التصرف للتفكير في النتائج المحتملة. هذه اللحظة البسيطة لا تكلف شيئاً، لكنها تحدث الفرق بين حياة هادئة منتجة وحياة مليئة بالمشكلات والمنغصات.

◊ خلاصة الموضوع الثاني

استعرضنا في هذا الموضوع ثمانية أسباب جوهرية تجعل التفكير في المخاطر قبل وقوعها ضرورة لا غنى عنها في حياة كل إنسان واعٍ، وهذه الأسباب تشكل في مجموعها قناعة راسخة بأهمية إدارة المخاطر، يمكن إجمالها فيما يلي:

١- حفظ النفس والأسرة من الأذى البدني والنفسي والمعنوي.

٢- حفظ المال من الضياع في صفقات وهمية واحتيال إلكتروني.

٣- حفظ السمعة والمكانة الاجتماعية من التشويه.

٤- الالتزام بالأنظمة وحماية النفس من المساءلة القانونية.

٥- تحقيق الاستقرار النفسي والاطمئنان في الحياة اليومية.

٦- توفير الوقت والجهد والمال الذي يضيع في معالجة المشكلات.

٧- تحمل المسؤولية تجاه الآخرين من أفراد أسرة وزملاء عمل ومجتمع.

٨- التنمية والتطور الشخصي وبناء مهارات ذهنية متقدمة.

◊ رسالة ختامية

التفكير الوقائي ليس صفة فطرية يولد بها بعض الناس دون غيرهم، بل هو مهارة مكتسبة يمكن لأي شخص أن يطورها في نفسه بالتدرب والممارسة.

ابدأ من اليوم بطرح سؤال واحد على نفسك قبل أي قرار: ما الذي قد يحدث لو فعلت هذا؟ هذا السؤال البسيط، إذا تعودت عليه، سيغير حياتك بشكل جوهري.

ولا تنس أن الحكمة الشرعية تقول: اعقلها وتوكل، أي خذ بالأسباب أولاً ثم توكل على الله. وهذا هو جوهر إدارة المخاطر من منظور إسلامي راقٍ يجمع بين السعي والإيمان.

بهذا نكون قد أكملنا الموضوع الثاني من المحور الأول، الذي رسّخنا فيه قناعة أهمية التفكير المسبق في المخاطر، وربطنا هذا المفهوم بالقيم الإسلامية والإطار النظامي في المملكة العربية السعودية، وعرضنا تطبيقات معاصرة على الواقع الذي يعيشه المتدرب. وننتقل في الموضوع التالي إلى التعرف على أنواع المخاطر التي نواجهها في البيت والعمل والمجتمع، لتكتمل لدى المتدرب الخريطة الذهنية الشاملة للمخاطر.